الفَصْلُ الحَادِي عَشَر

المـــواقـف التســع

[1]

قال سون تزو: فن الحرب يعرف تسعة أنواع من الأراضي:

1- الأرض المشتتة (أي تتسبب في تشتيت الجنود) .

2- الأرض السهلة . 3- الأرض مثيرة النزاعات .

4- الأرض المفتوحة . 5- الأرض ذات الطرق السريعة .

6- الأرض المحفوفة بالمخاطر. 7- الأرض الصعبة .

8- الأرض المحفوفة بالمخاطر . 9- الأرض المهلكة .

[2]

عندما يقاتل القائد على أرضه، فهو يقف على أرض مُشتتة[41] .

[3]

وعندما يتغلغل القائد داخل أرض معادية لمسافة قصيرة، فهو يقف على أرض سهلة[42] .

---

(41) فقد يغري قرب الجند من أوطانهم وأهاليهم بالهروب من المعركة إذا تطورت الأحداث وأصبحت موازين القتال في صالح العدو.

(42) يمكن الانسحاب منها ثم العودة إليها بسهولة.

[4]

الأرض التي يجلب الاستيلاء عليها منفعة لأي من طرفي الحرب، هي أرض مثيرة للنزاع.

[5]

الأرض المفتوحة هي تلك التي يستطيع كلا الجيشين التحرك فيها بحرية كاملة[43] .

[6]

الأرض التي تمكن من الوصول لثلاث دول متجاورة [44] تسمح لمن يحتلها أولاً أن يكون قادراً على إخضاع المنطقة بأكملها لسيطرته، والأرض التي تحتوي على الكثير من طرق المواصلات المتقاطعة والمتقابلة هي الأرض ذات الطرق السريعة.

[7]

عندما يتغلغل الجيش داخل أرض العدو، تاركًا عدداً من المدن المحصنة وراءه لم يفتحها، فهذه الأرض تكون خطرة.

[8]

الغابات الجبلية والمنحدرات الوعرة والمستنقعات العميقة والضحلة، وجميع الأراضي التي يصعب عبورها، تسمى الأرض الصعبة.

---

(43) لسهولة الوصول إليها وارتباطها بالطرق المعبدة.

(44) دولتك ودولة العدو ودولة ثالثة مجاورة.

[9]

الأرض التي لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال مداخل وممرات ضيقة، والتي لا يمكن الانسحاب منها إلا عبر ممرات غير آمنة، مما يجعل عدد قليل من جنود العدو قادرين على سحق عددٍ كبيرٍ من قواتنا، تسمى الأرض المحفوفة بالمخاطر.

[10]

الأرض التي تمكننا من النجاة من الهلاك بعد قتال باسل وشامل دون أي تأخير، تسمى الأرض المهلِكة.

[11]

لذا لا تقاتل أبداً على الأرض المشتتة، ولا تقف على الأرض السهلة، ولا تهاجم الأرض التي تستحق مشقة الاستيلاء عليها.

[12]

لا تحاول سد طريق العدو فوق الأرض المفتوحة، وتحالف مع جيرانك عند تقاطع الطرق.

[13]

انهب واسرق بأقصى قوتك فوق الأرض الخطرة[45]. وفي الأرض الصعبة استمر في السير.

---

(45) مبدأ النهب والسرقة هذا يخالف مبدأ عدم معاداة سكان المناطق التي نغزوها ومحاولة استمالتهم وكسبهم. لكن يبدو أن هذه الجملة قد تعرضت لإغفال أداة النفي عند نسخها بعد عدة قرون من وفاة المؤلف أو أن يكون بعض من أعد النسط الأحدث من الكتاب قد تدخل وقام بتعديلها.

[14]

فوق الأرض المحاطة، عليك بالخداع والحيلة، وفوق الأرض الميئوس منها ليس أمامك سوى أن تقاتل.

[15]

عرف قدامى القادة المحنكين كيف يدقون إسفيناً بين مقدمة ومؤخرة جيش العدو مانعين الاتصال والتعاون بين وحدات الجيش الكبيرة والصغيرة ومانعين إنقاذ وحدات العدو القوية لتلك الضعيفة المصابة، ومانعين قادة العدو من جمع شتات جنودهم والعودة بهم للمعركة.

[16]

عندما كان جنود العدو متحدين، تمكن القادة القدامى من نشر الفوضى بينهم.

[17]

عندما كان ذلك في مصلحتهم، أصدر قدامى القادة الأوامر بالتحرك للأمام، وعندما لم يكن كذلك، أصدروا الأمر بالتوقف.

[18]

إذا سألتني ما العمل مع عدو كثير العدد، ضخم الحجم، منظم الصفوف والخطوط، على أهبة الاستعداد للتقدم تجاهك؟ أجيبك بما يلي: ابدأ بالاستيلاء على شيء له قيمة كبيرة عند العدو، عندها ينصاع العدو لأوامرك.

[19]

السرعة هي أساس الحرب، واحرص على الاستفادة من عدم استعداد العدو، وشق طريقك مستخدماً سُبلاً غير متوقعة، وهاجم النقاط غير المحروسة.

[20]

فيما يلي المبادئ التي يجب أن تراعيها القوات المهاجمة، فكلما تعمقت قواتك في قلب حدود العدو، زاد تماسك جنودك، وهكذا لن يتمكن المدافعون من النيل منك.

[21]

اغز البلاد الخصبة من أجل إمداد جيشك بالطعام.

[22]

احرص على رفاهية جنودك ولا تحملهم أكثر من طاقاتهم. ركز طاقتك وادخر قواك. وابق جيشك مترابطاً ومتحركاً على الدوام واخترع خططاً مبهمة غير مفهومة [46].

[23]

اجعل جنودك في أماكن لا يمكن الهروب منها، فسوف يفضلون الموت على الهروب. وإذا واجه جنودك الموت، فلا يوجد شيء يعجزون عن تحقيقه. وقتها سيبذل الجنود والضباط معاً أقصى ما لديهم من طاقات.

---

(46) مبهمة وغير مفهومة بالنسبة للعدو بالطبع، لكن قادة جيشك لابد أن يكونوا على وعي ودراية بطريقة الهجوم حتي يمكنوك من تنفيذه بأفضل ما يمكن.

[24]

في مواقف اليأس، يفقد الجنود الإحساس بالخوف، فإذا لم يكن هناك أي مهرب فسيظلون ثابتين، وإذا كانوا فوق أرض العدو، فستكون مقدمتهم قوية، وإذا لم يكن هناك أي مساعدات متوقعة، فسيقاتلون بشدة وصلابة.

[25]

بهذا وبدون إصدار أوامر للجنود، سيكون الجنود قادرين على العطاء دون أن تطلب منهم ذلك، فهم ينفذون ما تريده، بدون أي تحفظات، ويصلون إلى قمة العطاء والولاء، وهنا يمكنك أن تثق فيهم.

[26]

قاوم تسرب التشاؤم إلى جنودك، واقض على أي خرافات أو شكوك أو أوهام. وإلى أن نواجه الموت بأعيننا لا يجب أن نشعر بالخوف إطلاقاً.

[27]

إذا لم يعد جنودك مهتمين بالحصول على الأموال، فلا تظن أن ذلك سببه زهدهم في المال، وإذا لم تعد حياتهم طويلة مديدة، فلا تظن ذلك سببه عدم رغبتهم في العيش.

[28]

في اليوم الذي تصدر فيه الأوامر للجنود بالقتال، ساعتها سيذرف

الجنود الدموع، وتسيل على خدودهم حتى تبلل ملابسهم [47].

لكن دع هؤلاء يطأون أرض المعركة، وستجدهم يظهرون شجاعة شو أوكيو [48].

[29]

يمكن تشبيه تكتيك الحرب الماهر بالثعبان (شواي جان) [49]، الذي تجده في جبال شانج، فما أن تضرب هذا الثعبان عند رأسه حتى تجده يهاجمك بذيله، وما أن تضرب ذيله حتى يهاجمك برأسه، وما أن تضربه في منتصف جسمه حتى يهجم عليك برأسه وذيله.

[30]

إذا سألتني هل يمكن أن يحاكي جعل الجيش ثعبان شواي جان، أجيبك نعم. فإذا كان رجال وو ورجال يوو ألد الأعداء، فهما إذا عبرا النهر في قارب واحد وأحاطت بهم عاصفة فسيهبون لمساعدة بعضهم البعض تماماً مثلما تتعاون اليدان اليمنى اليسرى.

[31]

لا يكفي ربط الخيول حتى لا تهرب، أو غرس عجلات العربات في الرمال حتى لا يفر الجنود [50].

---

(47) وهي دموع الفرح بالتكليف بالقتال وتعبر عن صدق نيتهم وولائهم.

(48) بطل صيني معاصر لـ (سون تزو).

(49) معنى هذا الاسم هو السرعة المفاجئة، وقد أطلق على هذا الثعبان لسرعته وعدم تردده عند اقتناص الفريسة.

(50) يرى (سون تزو) أن تلك الوسائل غير كافية في حد ذاتها لمنع الجنود من الهرب، وأن تعاون الجنود وتكاتفهم يمنعهم من الهرب وترك ميدان القتال.

[32]

المبدأ الذي على أساسه تدير شئون الجيش يأتي عن طريق وضع معيار شجاعة يجب على الجميع بلوغه.

[33]

كيف تحقق أقصى استفادة من الفرق القوية والضعيفة ؟ هذا السؤال يتضمن الاستعمال الصحيح للأرض.

[34]

القائد الماهر يقود جيشه كما لو كان يقود رجلاً واحداً، بسهولة ويسر.

[35]

على القائد أن يبقى هادئاً فيضمن السرية، وأن يكون عادلاً ومستقيماً، ليضمن استقرار النظام العام.

[36]

ويجب عليه أن يثير حيرة ضباطه وجنوده عن طريق المظاهر والتقارير الخادعة، وبذلك يبقيهم في حالة جهل تام[51] .

[37]

من خلال تعديل الترتيبات وتغيير الخطط يجعل القائد عدوه غير واثق في المعلومات التي يعرفها عنه. ومن خلال نقل معسكرات الجنود واتباع الطرق غير المباشرة، سيمتنع العدو من توقع الهدف وراء مثل هذه التحركات.

---

(51) يقصد جهل تام لدقائق وتفاصيل الخطط والمقصود منها حتى لا يتسرب الخبر للعدو عن طريق الجواسيس.

[38]

في اللحظة الحاسمة، يسلك القائد سلوك من يتسلق قمة جبل مرتفع عال ثم يلقي السلّم الذي تسلق عليه [52]، ويأخذ رجاله إلى أرض العدو دون أن يفصح عن نيته.

[39]

فليحرق قواربه ويحطم قدور الطعام، ويقود جنوده عبر هذا الطريق وذاك مثل راع يسوق قطيعاً من الغنم [53]، دون أن يعلم أحد منهم إلى أين هو ذاهب.

[40]

من أعمال القائد أن يحشد الجنود ويدفع بهم نحو العدو.

[41]

المقاييس المختلفة المناسبة لحالات الأرض التسعة هي: مدى ملاءمة التكتيكات الهجومية أو الدفاعية، والقوانين الأساسية للطبيعة البشرية، وهذه هي الأشياء التي يجب دراستها جيداً.

[42]

عند احتلال أرض العدو، يكون المبدأ العام هو التغلغل في أعماق تلك الأرض، فذلك يجلب التماسك لجيشك، بينما التغلغل لمسافة قصيرة يعني التشتت لأفراد جيشك.

---

(52) معنى الفقرة أن على القائد أن يقطع خط الرجعة في وجه جنوده حتى لا يفكر أي منهم في التراجع أو الفرار.

(53) أحياناً تكون تشبيهات (سون تزو) حادة وقد يراها البعض غير لائقة، لكن تشبيه جموع الجنود بقطيع الغنم لا يقصد به سوى أنهم لا يعرفون نية قائدهم ولا وجهته.

[43]

عندما تترك بلادك وراءك، وتجتاز بجيشك أراض مجاورة تفصلك عن بلادك، فأنت وقتها فوق أرض حرجة. وعند توافر خطوط اتصالات في الاتجاهات الأربعة، تكون الأرض ذات طرق عامة متقاطعة.

[44]

عندما تتوغل في أعماق بلد ما، فإن أراضيه ستصبح خطيرة، وعندما تتوغل لمسافة قصيرة، فهي أراض سهلة طيعة.

[45]

عندما تصبح حصون العدو خلفك، والممرات الضيقة أمامك، ستكون أرضا محصورة. وعند انعدام الملاذ الآمن تكون الأرض مُهلكة

[46]

لذلك وعند الوقوف على الأرض المهلكة، سوف أبعث الأمل في رجالي وأوحدهم. وعند الوقوف على أرض سهلة، فسأتأكد وقتها من توافر صلات قوية بين جميع وحدات جيشي.

[47]

على الأرض المتصلة سأستعجل مؤخرة الجيش.

[48]

على الأرض المفتوحة، أبقي عيناي حذرة بشدة وأحرص على

دفاعـاتي. وعلـى الأرض ذات الطـرق العامـة المتقاطعـة، سـأقوي تحالفاتي.

[49]

على الأرض الخطرة، سأعمل على توفير خطوط إمداد متواصلة. وعلى الأرض الصعبة، سأستمر في المشي السريع على الطريق.

[50]

وعلـى الأرض المحفوفـة بالمخـاطر، سـوف أسـد أي طريـق محتمـل للهرب. وعلـى الأرض المهلكـة، سـأعلن للجنـود عـن انعـدام الأمـل في إنقاذ أرواحهم.

[51]

ذلك لأن من طبيعة الجنـدي هـي أن يبـدي اقصى درجات المقاومـة عند حصاره، وأن يقاتل بصلابة عند عجزه عن مساعدة نفسه، وأن يطيع طاعة عمياء عندما تحيط به المخاطر.

[52]

لا يمكن لنا الدخول في تحالفات مع جيراننا من الأمـراء قبـل أن نلـم جيداً بمخططاتهم وأهدافهم. ولسنا مهيئين لقيادة مسيرة الجيش ما لم نكن على دراية ومعرفة تامة بطبيعة تضاريس الأرض [54]، جبالها وغاباتها، أخطارها وأحراشها، مستنقعاتها ووديانها. ولن نتمكن من استغلال المزايا الطبيعية لصالحنا ما لم نستفد من المرشدين المحليين

---

(54) الأرض التي سوف يسلكها الجيش

[53]

الجهل بأي من المبادئ التالية لا يتناسب مع أمير حرب.

[54]

عندما يهجم الأمير الماهر بالحرب على ولاية قوية، تتجلى قدراته القيادية في منع العدو من تكثيف قواته، وهو يلقي الرعب في قلوب خصومه، ويمنع حلفاء الخصوم من الاشتراك في المعركة ضده.

[55]

أمير الحرب لا يكافح من أجل التحالف مع كل الناس على اختلافهم، وهو لا يزيد من قوة الدول الأخرى. وهو ينفذ مخططاته مع إرهاب خصومه. بذلك يتمكن الأمير من الاستيلاء على مدن الخصوم وتدمير ممتلكاتهم.

[56]

امنح المكافآت دون الالتزام بالقواعد المنظمة لذلك، وأصدر الأوامر دون الالتفات للترتيبات السابقة وبذلك ستتمكن من التعامل مع الجيش بالكامل كما لو كنت تتعامل مع جندي واحد.

[57]

واجه جنودك بأوامرك، ولا تجعلهم يعرفون مخططك. وعندما تتضح النتائج الإيجابية لقراراتك، اجعلها واضحة جداً أمام أعين الجنود وأنظارهم، ولا تطلعهم على أي شيء عندما تتأخر مثل هذه النتائج الإيجابية.

[58]

سر بجيشك إلى الخطر المميت، فسينجو منه، ادفع به إلى المواقف اليائسة، يخرج منها سالمًا.

[59]

لأنه بالتحديد عندما تقف قوة ما في طريق الخطر، فهي قادرة على تحقيق النصر.

[60]

الانتصار في الحرب يتحقق عن طريق تكيفنا بحرص مع ما يمكن عمله للتعامل مع العدو[55].

[61]

من خلال إصرارنا المستمر على تطويق العدو وحصاره، ننجح على المدى الطويل في قتل قائده.

[62]

هذا ما يسمى القدرة على تحقيق أي شيء باستخدام الدهاء.

[63]

في ذلك اليوم الذي تتولى فيه القيادة[56] قم بسد جميع الممرات على الجبهة، ودمر نقاط المرور[57].

---

(55) من عمل مناورة أو تظاهر بالضعف أو التضليل أو غيرها من تكتيكات لازمة للحرب.

(56) أي بعد تحقيق النصر على العدو والاستيلاء على مواقعه بالكامل.

(57) أي يسيطر على مداخل ومخارج البلد المحتل.

[64]

كن شديد الصرامة في قاعة المجلس حتى تكون دائماً سيد الموقف ومتحكما في مجريات الأمور.

[65]

إذا ترك العدو باباً مفتوحاً، فيجب عليك اقتحامه.

[66]

أحبط مخططات عدوك عن طريق الاستيلاء على ما هو غال من وجهة نظره، ثم خطط لوقت مجيئه إلى أرض المعركة.

[67]

سر في الطريق الذي تحدده القواعد العسكرية، ورتب أوضاعك للقاء العدو حتى يمكنك الدخول في معركة حاسمة.

[68]

في البداية، تقدم على استحياء بطريقة لا تثير أي شك، حتى يكشف العدو عن ثغرة في صفوفه، بعدها انطلق بسرعة الأرنب البري وأنت تهجم على العدو، فتضيع عليه فرصة المقاومة أو صد الهجوم.

*** ***